ظاهرة حانوخ ليفين

رياض بيدس

تكتنف الكتابة عن حانوخ ليفين[1] صعوبات جمّة: اولاها، اننا نقف ازاء ظاهرة (الظاهرة الليفينية ـ من ليفين) متميّزة على امتداد الادب العبري الحديث. ينبع تميُّز هذه الظاهرة، وقراءتها، من قدرتها الدائمة على العطاء والتطوّر؛ كما انها دائمة الوقوف خارج اطار «الاجماع القومي»، حتى في أشد اللحظات خطورة، وفي أكثر المسرحيات الاجتماعية أو الفلسفية.

تنحو ظاهرة ليفين الى تكوين علاقة رفض ومعارضة مع هذه البلاد: فمنذ بواكيره الاولى، أكّد ليفين عدم القدرة على الاستمرار في الحياة في بلاد أشبه بالغيتو. كما انه أكد تبهُّم المشاعر وتصلّبها ازاء الاحتلال والقمع والبطش. كل ذلك يضعنا ازاء قضية هامّة في مجمل الادب الحديث، هي: خروج ليفين على المؤسسة الحاكمة، وعلى «الاجماع القومي» الصهيوني العام، واختراق المسار البديل: المسار شبه الكوزموبوليتي. لذلك، خرج معظم الدراسات عن اطار الموضوعية حين صنّف ليفين مع لفيف الادباء الصهيونيين، لأن ليفين يخرج عن ذلك الاطار، ليدخل في الاطار الاكثر شمولاً: الشكوكية، أو الموقف الاسبينوزي، من كل ما يحدث حوله. من ناحية، ينحو ليفين، سواء في عالمه الواقعي او الاسطوري، نحو نقض السقف الصهيوني واقامة البديل الاكثر انفتاحاً وحرية واتساعاً: السلام، وما يترتّب عليه من تغيرات جوهرية في لبّ الحياة الاسرائيلية، والعربية. امّا الناحية الاخرى، فهي انه أكبر مسرحي يهودي في اسرائيل، اضافة الى تصنيفه ضمن المسرحيين العالميين الكبار، على الرغم من كل التعتيم السياسي الموجّه عليه من قبل المؤسسة الحاكمة. لذلك، رأينا ان أفضل طريقة لتقديم ليفين هي بتناول أربعة أعمال من مسرحياته، بدلاً من كل مسرحياته، مع ترجمة نماذج كثيرة لتشكيل رؤية شبه واضحة عن أعمال هذا المسرحي الفذّ؛ كما اننا اخترنا المسرحيات القريبة من اهتماماتنا: المسرحيات الاشد واقعية، وهي المسرحيات السياسية.

صورة عامة عن مسرح ليفين

خلق ليفين مسرحاً عدائياً لايقاظ الجمهور البليد من غفوته القاتلة. فالمسرح عند ليفين وسيلة لتسلية المشاهد وضربه في آن: انه يستطيع ان يمزج بين النكتة والدمعة، والسوط والبلسم، في عمل واحد. اختصاراً، انه احد المسرحيين الاستفزازيين الكبار. ففي مسرح ليفين الكثير من الاغراءات التي قد لا تجدها عند غيره: الصنعة العالية، التحكم في الشخصيات، انعكاس الواقع، السخرية الى درجة البكاء، ثمّ السوط. لذا، يرتاد مسرح ليفين الكثيرون، على الرغم من معرفتهم المسبقة بأنهم قد يحاصَرون بعالم قاسٍ.